

جبل أبو غنيم واقع ومستقبل

عباس نمر

عضو اتحاد المؤرخين العرب
مدير دائرة إحياء التراث في وزارة الأوقاف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
اللهم يسر لي أمري وشرح لي صدري وأحل عقدة من لساني، وبعد.
إذا لم تسع الجامعات الفلسطينية، والقائمون عليها، للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في أرضهم وخيراتهم ومقدساتهم، وماكان ليفوت القائمون عليها المبادرة والسعي بكل ما أوتوا من قوة مادية ومعنوية للوقوف بكل حزم واقتدار في وجه العواصف العاتية التي تهب على أرض فلسطين من قبل الاحتلال الصهيوني.

فكانت جامعة النجاح الوطنية رأس الحربة التي تتقدم الصفوف للطعن فيما تقوم به سلطات الاحتلال من نهب للأرض وتدمير للجغرافيا والتاريخ الفلسطيني، وكشف كل الألاعيب التي تنتهجها تلك السلطات المعتدية، والتحذير من عواقبها الأليمة واللئيمة.
وهاهي تلك الجامعة الرائدة قد دعت إلى مؤتمر يوم القدس الثامن، استمراراً لما عقدته من سبعة مؤتمرات سابقة حول القدس.
وقد سارعت كواحد من المدعوين إلى تلبية هذه الدعوة الكريمة لأشارك في بحث عنوانه (جبل أبو غنيم.. واقع ومستقبل).

وهاأنذا أعرض على إخواني في هذا المؤتمر، مارأيته مهماً حول هذا الجبل وتاريخه، وما يريد به المحتلون من تغيير لملامحه الفلسطينية الأصيلة، وتحويله إلى مستوطنة تنفي عنه مشروعيته الوطنية، بما عهدناه عن هذا المحتل الغاصب من أساليب التنزيف البشعة التي لا يقرها قانون ولا ضمير.

إن ذلك الجبل الأشم الذي سمي بهذا الاسم نسبة إلى (غنيم) الابن الأكبر، وأحد أبناء الصحابي الجليل، عياض بن غانم الخزرجي الأنصاري، رضي الله عنه، ذلك الصحابي الذي كان هو وأهله أول المستقبلين للخليفة العادل الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عند مجيئه من المدينة المنورة لتسلم مفاتيح بيت المقدس.

وكان عياض بن غانم قد طلب من الفاروق أن يقطعه هذا الجبل الذي سمي باسم أحد أبناء عياض فيما بعد.

أيها الحضور الكريم..

فمنذ العهد البيزنطي تقبع على هذا الجبل كنيسة رومانية قامت الجرافات الإسرائيلية بإحداث تصدعات جدارية لآثارها، وهي الكنيسة التي كانت تسمى بالاستراحة، على الطريق بين القدس وبيت لحم، وهناك آثاراً أخرى ذهبت آثارها لعيون مستوطنة جبل أبو غنيم.

وهذا الجبل الجميل يقع إلى الشمال من مدينة بيت لحم وعلى ارتفاع 774 متراً عن سطح البحر، وهو منذ فجر التاريخ ملك للفلسطينيين من سكان بيت لحم وبيت ساحور وصور باهر وأم طوبا، وقريّة أم طوبا لم توقف زراعة هذا الجبل حتى مصادرة أراضيه، وكان يزرع قسم من هذا الجبل العنب والتين والزعرور وذلك في العهد العثماني مروراً بالانتداب حتى عام 1960م، عندما قامت دائرة الأراضي إبان الحكم الأردني، الذين قرروا أن يزرع هذا الجبل بأشجار الصنوبر ليكون وجهة للسياحة في المنطقة وأطلق عليه اسم حرش أبو غنيم لكن لكثرة أشجاره والتي زيدت عن (16) ألف شجرة عام 1970م أصبح اسمه غابة أبو غنيم. وجعل المحتلون منها محمية طبيعية وزادوا من تشجيرها بالأشجار الحرجية، حيث ضمت هذه الغابة حوالي 60 ألف شجرة، وأصبحت مركزاً للحياة البرية العامرة بالحيوانات من غزلان وأرانب وثعالب ونيص وغيرها من الطيور مثل اللقلق الأبيض والأسود.. الخ. وفعلاً كان غابة جميلة يتمتع بها أهالي بيت لحم والقدس وبيت جالا والقرى المجاورة، وخصوصاً أهالي أم طوبا، حيث أصبح الجبل لهم فيه حكاية، وتغطي الجبل من أشجاره، وأعلنت دائرة أراضي إسرائيل أن هذا الجبل منطقة خضراء، الأمر الذي حذر على الفلسطينيين بناء أية مساكن عليه.

وفي 21 / 4 / 1991م، أصدر وزير المالية الإسرائيلي آنذاك يتسحاق موداعي أمراً بمصادرة 1850 دونماً من أراضي مدينة بيت ساحور وقريتي صور باهر وأم طوبا. ومن الواضح لكل ذي عينين أن التعدي على أملاك الآخرين عمل غير مشروع، بل أنه من أعمال اللصوص وقطاع الطرق، وبما أن الموازين الإنسانية قد قلب سافلها أعلاها، خاض أصحاب الجبل والأراضي وقتاً كبيراً وما زالوا ضد المصادرة، فما الفائدة من تقديم الاعتراضات ورفع الدعاوي لمحاكم الخصوم! وكيف يمكن أن يكون الخصم حكماً في ذات الوقت.

وفي يوم 26 / 2 / 1997م، اتخذت الحكومة الإسرائيلية قراراً بالبناء الاستيطاني المحيطة على هذا الجبل والذي هو محمية طبيعية، مما أدى إلى قيام مظاهرات وسقط الشهداء في كل أنحاء الوطن، وقامت احتجاجات في مناطق العالم وداخل الخط الأخضر.

وفي 9 / 3 / 1997م بالرغم من المظاهرات والاحتجاجات، تمت مصادقة الحكومة الاسرائيلية على بناء (6500) وحدة سكنية كمرحلة أولى في عهد رئيس وزرائها آنذاك نتنياهو، وأطلق عليها مستعمرة هارحوماه، وبوشر في بناء مؤسسات وأبنية عامة وفنادق ومناطق مفتوحة وبرك سباحة وغيرها.

واليوم تسعى إسرائيل للمستقبل القريب في مستوطنة جبل أبو غنيم أن تكون هذه المستوطنة بديلاً عن مدينة بيت لحم حيث ستقوم ببناء أكبر مجمع طبي في الشرق الأوسط ومناطق سياحية، وبناء تل فريك يربط مع كنيسة المهد في بيت لحم، وبناء أفخم الفنادق العالمية معنى هذا يؤدي إلى ضرب السياحة الدينية في كل من بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور وخنقها وحرمانها من دخلها السياحي، والمستوطنة نفسها تجعل من هذه المدن غير قادرة على احتواء الزيادة السكانية الطبيعية.

ولقد قسمت بلدية القدس جبل أبو غنيم إلى ثلاث أقسام (أ، ب، ج) وانتهت من القسمين "أ" و "ب"، وأصدرت أوامر ببناء ألف وحدة سكنية استيطانية أخرى في منطقة "ج" ويعيش اليوم في الحي السكني هارحومه "أ" و "ب" حوالي 15 ألف مستوطن. كل ذلك فيض من غيظ مما تقوم به سلطات الاحتلال الإسرائيلية في تغيير معالم أرضنا الفلسطينية المقدسة، مستهترة بكل القوانين والأعراف، أليس ذلك يكاف للدفع نحو عقد المؤتمرات للدفاع عن هذه الأرض وعن أهلها المستضعفين؟

وهكذا كانت جامعة النجاح الوطنية من أوائل المبادرين لعقد هذه المؤتمرات التي لا بد أن يكون لها الأثر الفعال في توعية الرأي العام بمختلف اتجاهاته من فلسطيني وعربي وعالمي، إلى أن يقضي الله سبحانه أمراً كان مفعولاً..

أشركم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته